

الحياة الاقتصادية لليمن في العصر العباسي

عباس كريم عبد

كلية التربية الأساسية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله الطيبين

الطاهرين

يتناول البحث التالي الحياة الاقتصادية لليمن في العصر العباسي، فقد عرف اليمن بأنه بلد زراعي من الطراز الأول ازدهرت فيه الزراعة وعرف باستخدام نظام المدرجات في زراعة المناطق الجبلية والوعرة، كما اشتهر ومنذ القدم بتطوره في مجال الري وبناء السدود وخير دليل على ذلك شهرته بإنشاء سد مأرب، كما ازدهرت الصناعة في اليمن وانتشرت في مدنه المشهورة فضلاً عن النشاط التجاري والذي عزز من دور اليمن وأهميتها هو موقعها الجغرافي المهم على طرق الملاحة والمواصلات الدولية المعروفة منذ القدم فكانت بحق بلاد العرب السعيدة ذات الإرث الحضاري العريق.

أن تاريخ دولة اليمن تاريخ مجيد حافل بالثروات والخبرات والإمكانيات ولا يزال يشهد عليه ما نقشه أولئك الذين بنو تلك الحضارات وسطروا تلك الأمجاد، وهذا مما دفع الباحث لتسليط الضوء على جانب مهم وحيوي من حياة اليمن ونقصد به (الحياة الاقتصادية) والتي تتحدد بشكل عام من خلال إنتاجها ومواردها الطبيعية والتجارية فضلاً عن مواردها من المواد الأولية. وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم إلى ثلاثة مباحث حيث تناول المبحث الأول الحياة الزراعية فيما تناول المبحث الثاني الحياة الصناعية فضلاً عن المبحث الثالث الذي كان مخصصاً للتجارة في العصر العباسي.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على جملة من المصادر تنوعت بين الأصلية منها والحديثة، وكان بعضها ذا فائدة كبيرة لا غنى عنها ولبعضها الآخر فائدة ثانوية مكملت لما تتطلبه الدراسة، ومن بين هذه المصادر والمراجع كتاب (قرة العيون في أخبار اليمن الميمون) لمؤلفه عبد الرحمن بن علي المعروف بأبن الديبع، وكتاب (كنز المخبر في معرفة اليسر والأخبار) لمؤلفه عماد الدين الحمزي، وكتاب (اليمن الخضراء مهد الحضارة) لمؤلفه محمد بن علي الأكوخ وغيرها العديد من الكتب. ويأمل الباحث أنه وفق في تسليط الضوء على هذا الجانب المهم والحيوي من حياة اليمن الاقتصادية.

تمهيد

سميت اليمن بهذا الاسم لأنها تقع يمين الكعبة المقدسة لذلك سميت يمن تيمناً بهذا الاسم، ومنهم من يرى أن اليمن إنما سمي اليمن يميناً لأن الناس حين تفرقت لغاتهم ببابل تيامن بعضهم يمين الشمس وهو اليمن^(١).

والبعض الآخر قال أن اليمن هو عبارة عن ماء في غطفان على الطريق تيماء وقصد، وقيل أنه ماء لبني حرمة بن مرة وسماء بعضهم أمن ويتداول الكلام ومرور الزمن سمي هذا المكان الذي وجد فيه هذا الماء المذكور باليمن^(٢).

أما ما يعرف العربية السعيدة فقد جاءت ترجمة للاسم السبائي اليمن (يمنيات). (يمنت) أي الخير والبركة ومن خصائص هذا الجزء هو خصوبة التربة وغناها النباتي مقارنة مع أجزاء الجزيرة العربية الأخرى^(٣).

وسميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزرعها، حيث غطت المزارع والبساتين رقعة شاسعة من اليمن بأشجار الخوخ والتين والأجاص والتفاح واللوز والسفرجل والرمان^(٤).

تقع اليمن في الطرف الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، وتمر بها من الشمال إلى الجنوب سلسلتان تحصران بينهما هضبة عريضة وينحدر سطحها نحو البحر بشدة تاركاً سهلاً ساحلياً يقطعه عدد من الوديان المنصبة في البحر، وتسقط على هذه البلاد أمطار غزيرة تأتي بها الرياح الموسمية من شرقي أفريقية، وقد

ساعدت هذه الأمطار على نشوء نهيرات الصغيرة والتي يستفاد منها في الزراعة مما أدى إلى استقرار الناس ونشوء المدن والمدنية^(٥).

يحد اليمن من الغرب البحر الأحمر وقد أعطى هذا الموقع لليمن وبامتداد التاريخ نقلاً عالمياً في حقل الملاحة والتجارة فعن طريقه يتصل المحيط الهندي والبحر المتوسط، وعبر اليمن يتم الاتصال بين آسيا وأفريقية، كما أن اليمنيين استفادوا من ظاهرة طبيعية جاء نتيجة لموقعها هذا ونقص بها الرياح الموسمية ذات الاتجاه الشمالي الشرقي في الشتاء وذات الاتجاه الجنوبي الغربي صيفاً حيث استفادوا من انتظام اتجاه الرياح الموسمية بتطوير التجارة المزدهرة مع أفريقية مما خدم بالتالي الاقتصاد اليمني^(٦).

وبحكم السعة النسبية لأرض اليمن جعلها تتحكم في قطاع كبير من الجزيرة العربية وصلاتها مع العالم الخارجي، كما ومن مميزات هذا البلد امتلاكه لثروة معدنية كامنة تحتاج إلى مسحها والتأكد من جدوى استغلالها اقتصادياً، كما أن بلاد اليمن في موقعها هذا قد اكتسب بعض مدنها ومناطقها مناخاً إستراتيجياً مهماً جذب إليه مجموعات سكانية كبيرة مثل بلاد خولان والتي تشمل على قرى ومزارع ومياه مغمورة وكذلك نجران وجرش، وليس في جميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر سكاناً من صنعاء^(٧).

المبحث الأول

الزراعة في اليمن في العصر العباسي

لقد شهدت اليمن في العصر العباسي الأول (١٣٢هـ-٢٤٧هـ) اضطراباً في الأوضاع السياسية حيث فشل الوالي (عبد الله بن الربيع) (١٣٦هـ-١٤٠هـ) في قمع الفتن في اليمن وهذا مما أدى إلى حدوث الفوضى والتي كان لها الأثر الكبير على النواحي الاقتصادية وأثار ذلك قلق الخليفة المنصور الذي ولى على اليمن (معن بن زائدة الشيباني) (١٤٠هـ-١٤٦هـ) والذي كان عارفاً بشؤون بلاد اليمن، فقد عهد إليه الخليفة المنصور بقمع حركة الخوارج وإعادة الهدوء للبلاد، وكان لهذه السياسة المتشددة أثرها في إخماد الفتنة، إلا أنها من جانب آخر لم تستطع أن تهتم بالفرد اليمني وأن تعمل على تحسين أوضاعه المعيشية بل اقتصرت على المطالبة بأداء الضرائب المفروضة عليه، فقد اخذ ممثلو الدولة في جمع الضرائب وزيادتها^(٨). لقد كان من نتيجة هذه السياسة المتشددة أن ساءت أحوال الفرد اليمني لذلك فكر الخليفة الرشيد أن يولي على اليمن (محمد بن خالد بن برمك) في سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م، وكانت من أحسن العصور التي عاشتها اليمن والذي حكم الناس بالعدل وخفف من عبء الضرائب، وكان من أعماله أيضاً في مجال الزراعة أنه أجرى نهراً كان يعرف بـ(غيل البرمكي) الذي كان يسقي بساتين صنعاء الجنوبية والغربية وشعوب الروضة والرحبة ومدحه الناس والشعراء^(٩).

وكذلك عمل البرمكي على تحقيق ما كان الناس يعانون منه من الظلم وبطش الولاة السابقين، وهذا مما انعكس إيجابياً على الحالة الاقتصادية لهم، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً فقد ولى الخليفة هارون الرشيد مكان البرمكي، حماد البربري (١٨٤هـ-١٩٤هـ) والذي كان على العكس من محمد بن خالد البرمكي، فقد اتبع سياسة شديدة تقوم على رفع الضرائب وشدت على الناس في جبايتها ولم يتهاون مع العابثين والمفسدين ومثيري القلاقل، وكذلك ضرب بيد من حديد على اللصوص وقطاع الطرق فأمنت الطرق في عهده وكانت القوافل تأتي إلى اليمن وتخرج منها بسلام، الأمر الذي أدى إلى توفر السلع وانخفاض الأسعار وبالتالي ازدهار الحالة الاقتصادية^(١٠).

ويبدو أن الحالة الاقتصادية في اليمن كانت متوازنة المستوى على الرغم مما شهدته من اضطرابات ومشاكل والتي لولاها لكانت الحالة الاقتصادية أفضل بكثير، أضافه إلى تأثير عملية تغيير الولاة حيث لوحظ أن المدة التي يقضيها الولاة تتراوح بين عدة شهور وذلك بسبب العزل، وهذا مما يؤثر على معرفة الوالي بأمور البلاد وبالتالي ضعف معالجته لأمر ولايته، وكذلك فإن نزاهة الولاة ووكلائهم في المناطق كان مشكوك بها والدليل على ذلك مصادرة الكثير من أموال الناس، فقد ظهر من بين الولاة من كان همه الوحيد هو كيفية جمع الأموال على حساب الناس، حتى أن بعض الولاة وعمالهم جمعوا أموالاً كثيرة، فقد ذكر عن الوالي (محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي) والي الأمين سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م، أنه صادر بعض أموال حماد البربري حيث أخذ منهم أموالاً كثيرة، كما صادر الوالي (عمر بن إبراهيم العمري) سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م، من الوالي الذي سبقه يزيد بن جرير أموالاً كثيرة^(١١).

هذا فضلاً عن خروج محمد بن سعيد بن السرح من اليمن بأموال كثيرة، والسبب في ذلك بعد اليمين عن مركز الخلافة وضعف الرقابة المركزية عليهم وعدم التزام هؤلاء العمال بالحرص على أموال المسلمين وجمعها لصالحهم، كما أثرت الفتن والحروب التي ظهرت في عدة أماكن من ولاية اليمن، أثرت سلباً عليها، فقلصت طاقتها البشرية وألحقت بالوضع الاقتصادي أضراراً بالغة وذلك لتركهم مجالات النشاط الاقتصادي بل وتخريبه في مجالات أخرى^(١٢).

أما في عهد الدولة الصليحية (٤٣٩-٥٣٢هـ) فقد حل نظام الإقطاع محل النظام القبلي الذي كان منتشراً في جهات اليمن المختلفة لتستعاض عن الحكومة المركزية ابتغاء الحصول على قسط من الأمن، إضافة إلى إهمال الدولة الصليحية والخلافة الفاطمية في تحقيق التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري بينهما، كما استنزفت الدولة قسماً كبيراً من مالياتها في الحرب الداخلية والخارجية بسبب العداء القائم بين هذه الدولة وأصحاب المذاهب الأخرى، ومما لاشك فيه أن الزراعة كانت قوام هذا المجتمع من الفلاحين وبذلك تكونت طبقة من المستأجرين ضخمة العدد، ولم تكن هذه الطبقة إلا من القبائل الفقيرة التي لم ترضى بحكم الصليحيين ولما كانت ثروة البلاد تعتمد الاعتماد الكلي على ما هو مستحصل من هؤلاء المستأجرين، فإن عدالة سلطان الصليحيين كانت تقتضي أن يسهر على مصلحتها^(١٣).

كما لقيت الزراعة في اليمن اهتماماً كبيراً في العصر العباسي وخاصة في العصور المتأخرة والذي يمثل عصر الدولة الرسولية، وهو العصر الذهبي للحضارة العربية في اليمن حيث اتبعوا سياسة كانت السبب في أن تحتل الزراعة مركزاً هاماً في الحياة الاقتصادية في اليمن فضلاً عن أتباعهم سياسة جديدة تجاه الضرائب تارة، ويقومون بتخفيض تارة أخرى، كما قاموا بإجراء التجارب الزراعية، وتأليف العديد من المؤلفات والتقاويم الزراعية^(١٤).

ويبدو أن الملكية الخاصة للأراضي الزراعية في اليمن كانت أكثر انتشاراً سواء كانت متوسطة أو صغيرة، ومعنى هذا أن الأراضي لم تكن عائدة للمقطعين كما يجب في النظام الإقطاعي^(١٥).

لقد عرف المزارعون في اليمن العديد من الطرق لاستغلال أراضيهم الزراعية وكان أصحاب الأراضي يقومون باستغلال أراضيهم مباشرة وخاصة إذا كانت الأراضي ذات مساحة صغيرة، وأما إذا كانت الأراضي ذات مساحة كبيرة فأنها تستغل بطرق عديدة منها الاجر والشراكة والضمان بالإضافة إلى طرق أخرى قليلة الانتشار، كما انفردت اليمن بزراعة بعض الأشجار والنباتات والتي تميزت بمردودها الاقتصادي المرتفع وقد احتكر اليمن بتصديرها إلى مختلف البلدان ونال شهرة واسعة بانتاجها لها وخاصة (اللبان) والذي تذبذب الطلب عليه ثم استعاد مكانته في الاقتصاد اليمني في أواخر العصر العباسي حيث كن يوفر أرباحاً

عالية وكان من الطرق التي عرفها المزارعون وكانوا بواسطتها يستطيعون ان يحفظوا محاصيلهم الزراعية من حبوب وفواكه من التلف وبقائها لأطول فترة ممكنة، ومن هذه الطرق طريقة دفن الحبوب وطريقة الكمون والملح او الرماد والطين الابيض بالإضافة الى طريقة حفظ الفواكه، وقد تأثرت الزراعة في اليمن بالعديد من الظروف والعوامل الطبيعية والبشرية والتي كانت سبباً في تدني الانتاج الزراعي، ومن هذه الظروف والعوامل هي الآفات الطبيعية مثل الطاعون والجفاف والسيول والامطار والجراد والزلازل^(١٦).

أما بالنسبة لأهم المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع في اليمن، فقد انتشرت زراعة محاصيل مختلفة لتوفير الشروط الطبيعية والبشرية للإنتاج الزراعي من تربة صالحة ومناخ ملائم بالإضافة الى الاختلاف التكويني التضاريسي لليمن بين سهول وجبال، والذي يؤدي الى اختلاف في درجة الحرارة وكذلك في سقوط الامطار، وهذا مما يؤدي الى ان تشهد اليمن نشاطاً زراعياً على مدار فصول السنة المختلفة وهذا يؤدي بالتالي الى التنوع في المحاصيل الزراعية والتي كان من اهمها الحبوب من الذرة والقمح والعدس والسمسم والشعير والأرز والحمص والعدس والماش والبقلاء وكذلك الفواكه والأشجار المثمرة والنخيل، ومن الفواكه العنب والموز والسفرجل والرمان والتفاح والأجاص وغيرها، فضلاً عن الخضروات ومنها البطيخ والخيار والقرع والباذنجان والجزر والفلفل والثوم والبصل والكراث^(١٧).

وكذلك عرفت اليمن زراعة الورد والرياحين والياسمين والحناء والنرجس كما شهدت اليمن نشاطاً زراعياً كبيراً حيث شجعت الدولة زراعة المحاصيل الزراعية التجارية مثل محصول (الفوه)^(١٨) كما ازداد التبادل التجاري مع الهند والصين والحجاز وشرق افريقيه وقد انعكس ذلك على ازدياد النشاط الزراعي، وقد سعى المزارعون الى تصريف محاصيلهم الزراعية في أسواق القرى أو المدن المجاورة، وكانت كل من مدينة (تعز وزبيد وعدن وصنعاء) من أهم المدن التي تزخر بالأسواق المختلفة وكان يحدد سعر بعض السلع التي يقوم المزارعون ببيعها في المدن على حسب العرض والطلب، وكان هناك ارتباط بين زراعة محاصيل زراعية معينة ومواسم التجارة في المدن مثل محصول (الفوه) وازدياد الطلب عليه في مواسم تجارتها حيث كان يصدر الى الخارج اليمن^(١٩).

لقد استخدم المزارعون أثناء عمليات البيع وشراء الدنانير الذهبية والدراهم الفضية، كما تعددت وحدات الكيل والتي اختلفت من منطقته الى أخرى وكذلك كان هناك وحدات وزن عديدة، وكان المزارعون يقومون باستغلال أراضيهم الزراعية بأنفسهم مباشرة أو بطرق مثل طريقة (الأجار) وقد توصل المزارعون الى معرفة نوعية الارض الزراعية ويطرق منها طريقة الشم والذوق وزيادة أو نقصان التراب، وكذلك توصلوا الى معرفة العديد من الطرق في مكافحة الآفات الزراعيه، وقد استخدم المزارعون تقويماً زراعياً فكانوا يقومون بأنشطتهم المختلفة وفقاً لذلك التقويم شهراً بشهر وعلى مدار السنة، كما أهتم المزارعون بزراعة مختلف المحاصيل وذلك لما كانت تشكله من مصدر هام لغذاء السكان وقاموا بتصدير بعض المحاصيل الى خارج اليمن الى الحجاز والهند وغيرها وهكذا فقد زاولت أغلب طبقات المجتمع اليمني الأشغال بالزراعة حيث كانت الزراعة هي الغالبة على نشاط الناس، كما كانت معاملة الملوك والموظفين للمزارعين جيدة^(٢٠).

وكذلك فإن اليمن تميزت بحسن طرائق ربيها وغزاره زروعها، وكان لطبيعة ارضها الجغرافية دوراً في هذا التميز حيث كان يوجد في اليمن العديد من الوديه ومنها (البجابه) وهو كثير النخل و(وادي عدو) وهو كثير الابصال والأعنا ب و(وادي برامس) وفيه القطن، وأودية(شبحان وعلان والسراة) حيث كانت هذه الأودية كثيرة النخل والزروع فضلاً عن أودية أخرى كثيرة^(٢١) وكحالة مرتبطة ومتفاعلة مع الزراعة فقد

أهتم أهل اليمن بالثروة الحيوانية وأنواعها فقد اشتهرت مدينة (جبلان) بكثرة البقر واشتهرت بلدة (الصعر) بالأبل وأيضاً كان هناك الزرافات والجواميس وفي حقل (صنعاء) يوجد الضأن والبقر وفي بلدة (حاشر) تكثر الماشية كما تتميز اليمن بأنواع عديدة من الأبل العبدية، وبسبب كثرة الجلود من الحيوانات المختلفة فقد اشتهرت اليمن بالدباغة (٢٢).

ومما ساعد ودعم استقرار النمو الاقتصادي الزراعي بفرعيه النباتي والحيواني وجود كميات كثيرة من المياه على شكل أنهار وغيول وينابيع وآبار، وقد تميزت اليمن بالسيطرة على هذه المياه من خلال السدود حيث كانت السيول تسقي بعض الأشجار، وأيضاً تميزت الجبال بوجود المياه في رؤسها مثل أبذر وضفار وكانت الغيول تشق طريقها بين المنازل الى البساتين، وبالإضافة الى الآبار والعيون هناك الأنهار الظاهرة ففي بلد همدان وفي الجوف الأعلى توجد القرى على شط الخاردة الذي تصب فيه أنهار داعم والخوير والميرب، وقد كان الوالي (محمد بن برمك) قد أصلح وسائل الري فضلاً عن أنشائه الغيل والنهر الذي يسمى (بغيل البرمكي) (٢٣).

ومن المميزات الأخرى التي تميزت بها اليمن هي الزراعة بطريقة المدرجات والتي أختصت بها البلدان ذات الطبيعة الجبلية الصعبة والتي تعاني انحداراً حاداً، كما برع اليمنيون في تسوية المدرجات على سفوح الجبال الخصبة لتكون أحواضاً تتقبل الأمطار الصيفية فترويهما قبل أن تهبط الى مجاري الأودية والتي تمتلئ بالمياه في فصل الأمطار (٢٤).

الخراج في اليمن

اعتبرت أراضي اليمن أراضي عشيرة وخراجيه، وشكلت نسبة الخراج المفروضة على الأراضي الزراعية مورداً هاماً من الموارد المالية في اليمن، فاليمن بلد زراعي احتلت فيه الزراعة المركز الأول بين مقومات الدولة الاقتصادية، وقد اهتم ملوك وسلاطين اليمن بالزراعة من أجل الحصول على مورد اقتصادي يسخرونه لخدمة اغراضهم السياسية والعسكرية في السيطرة على كافة أرجاء اليمن، ومن الجدير بالذكر أن مستوفي الخراج كان يحصل من نفس الغلة المزروعة أو ثمنه في وقت الحصاد حين يكون سعر الغلة رخيصاً، وأن الدولة لم تكن تتدخل في تقدير أثمان الغلة مما ينعكس إيجابياً لصالح المزارعين (٢٥).

وقد كانت الدولة تراقب موظفيها الذين تسند اليهم مهمة استيفاء الخراج، فمن خالف الأصول المرعية وأنهى أمره الى السلطان طلب الى مستند الدواوين التضييق عليه والزم العامل المتولي أرجاع ما أخذه، وقد عرفت اليمن ثلاثة دواوين رئيسية نظمت العلاقة بين الرعية والدولة في كافة الجوانب، وخاصة الجوانب المالية والإدارية والدواوين هي الديوان الكبير (ديوان الخراج) و(ديوان الخاص) و(ديوان الحلال) ومن أهم موظفي ديوان الخراج، المستوفي والمستند وناظر الجهة وملتزم الجهة (٢٦).

أما بالنسبة الى كيفية تحصيل الخراج وجبايته فكان يتم بالأعلان بعد أن يعلم السلطان العمال عن رغبته في تحصيل الخراج، وذلك بأن ينادي ببداية جمع الخراج، وكانت تعطى مدة كافية بعد الاعلان، وعندما يحاول أحد السلاطين الاستعجال بجمع الخراج فإنه يجد الأمتعاض من قبل المزارعين وأيضاً من قبل الموظفين في الدولة لما يسببه من متاعب، وكان من أهم الضرائب هي ضريبة الذرة وضريبة النخيل والقطن والسهم وغيرها وكان يتم جباية الخراج من المزارعين في وقت مناسب لظروفهم كما أتخذت الدولة العديد من الإجراءات مثل الغاء وتخفيض بعض الضرائب وتحسين أسلوب جبايتها وغيرها من الاجراءات والتي كان هدفها تشجيع الزراعة والمزارعين (٢٧).

ويمكن إبراز الوضع الاقتصادي في اليمن في العصر العباسي من خلال مقادير الخراج، فقد بلغ خراج اليمن ثلاثمائة وسبعين ألف دينار، ثم ارتفع هذا المبلغ ليصل سنة ٢٠٤هـ/٨٢٢م الى ستمائة ألف دينار، كما أورد آخرون ببيان خراج اليمن فقالوا أنه بلغ في عهد الخليفة هارون الرشيد ٨٧٠ ألف دينار في السنة (٢٨) وهذا يعني ان الحالة الاقتصادية في اليمن كانت جيدة المستوى على الرغم من الاضطرابات والمشاكل التي حدثت بها والتي لولاها لكانت الحالة الاقتصادية أفضل.

المبحث الثاني

الصناعة في اليمن في العصر العباسي

لقد توفرت في اليمن الكثير من المواد الأولية للصناعة في عصور مبكرة من التاريخ، فقامت فيها عدة صناعات قبل الاسلام وبعده ومن تلك المواد العقيق والجزع والحديد الذي وجد وبكميات كبيرة في عدن حتى سمي أحد جبالها (بجبل الحديد) كما وجد الحديد أيضاً في أرض وادعة وهي تقع بين صعدة والحجاز، وأشتهرت صناعة الخرز والفصوص من العقيق والجزع والذهب في صنعاء وظفار، كما أنتشرت صناعة الأواني والأطباق والخزف والفخار وكذلك صناعة الاسلحة وغيرها من الصناعات (٢٩).

وفي العصر العباسي لقيت الصناعة بصورة عامة ومن بينها الصناعات القائمة على الانتاج الزراعي اهتماماً كبيراً من قبل حكام اليمن حيث عملوا على أستقدام الصناع من مصر والشام لقلّة وجودهم في اليمن، كما عملوا على إرسال متخصصين في معرفة الصناعات والصناع الى عدد من الدول ومن بينها العراق والشام لشراء أفضل ما هناك فضلاً عن تقديم الكثير من الأموال الى هؤلاء الصناع حتى يقدموا الى اليمن، ومما يدل على أهتمام ملوك وسلاطين اليمن بالصناعة هو تأليفهم بعض من المؤلفات التي تتناول الصناعة، ومنهم السلطان الملك المظفر الأول الذي ألف كتاب (المخترع في فنون من الصنع) حيث تناول فيه العديد من الصناعات (٣٠).

ويمكن ان نقسم أهم الصناعات القائمة في اليمن الى صناعات تعتمد على الانتاج الزراعي مثل صناعة المنسوجات التي نالت شهرة واسعة في اليمن منذ مدة طويلة فيقال برود اليمن وديباج الروم وحريير الصين، كما قامت صناعة القطن في عدد من المناطق التي اشتهرت بزراعة القطن ومن بينها الكدراء ولحج وزبيد والشحر وصنعاء، فضلاً عن قيام النساء بغزل المنسوجات لعوائلهن، حتى ان بعضهم كان يحققن أكتفاءً ذاتياً من الملابس، ومن الصناعات الأخرى القائمة على الانتاج الزراعي هي صناعة الزيوت الذي كان له أهمية خاصة في الغذاء والأضياء والتي كان يعتمد في صناعتها على محصول السمسم والذي كان منتشراً زراعته في اليمن، وأيضاً اشتهرت صناعة السكر في المناطق التي يزرع فيها قصب السكر مثل جبله وصناعة النبيذ نظراً لكثرة ما يزرع من العنب وتوفر أنواع الزبيب المختلفة حتى أننا نجد أن ضمان دار النبيذ في عصر الدولة الايوبية ليصل الى (أثني عشر ألف دينار) كما ترتب على انتشار أشجار النخيل وبكثافة في عدد من المناطق ومنها حضر موت أن قام المزارعون بصناعة بعض الادوات مثل سفرات الطعام وصناعة الحصران والزبيل من السعف والجريد واستعمال الجذوع في البناء (٣١).

كما كان هناك صناعات قائمه على الانتاج الحيواني إذ أن أعمالهم الزراعية المختلفة كانت تتطلب منهم بتربية الحيوانات المختلفة مثل الابقار والثيران التي تستخدم لحراثة الارض والخيول والجمال والحمير والتي كانوا يستخدموها لنقل محاصيلهم الزراعيه الى الاسواق، فضلاً عن صناعة الالبان ومشتقاتها الزبد والجبن كما اهتموا بتربية النحل، واشتهرت في اليمن صناعة الحرير اعتماداً على توفر دودة القز حيث

كانت اليمن مناسبة لتربية هذه الدودة، بالإضافة الى ذلك انتشرت في اليمن صناعة الادوات الزراعية وان كانت من الطبيعي ان تساعد في ممارسة اعمالهم مثل صناعة المناجل والمحافر والمقالع والمحاريث وغيرها من الادوات وكان يساهم في ذلك توفر أنواع مختلفة من المعادن لصناعة هذه المواد مثل الحديد والذي تصنع منه أدوات زراعية مختلفة (٣٢).

ومن الصناعات الأخرى التي عرفت بها اليمن هي صناعة العطور والاطياب وخاصة في عدن وكان يصدر منها الى بلاد فارس والروم والهند وكانت سوق عدن من أسواق العرب المشهورة ببيع العطور وقيل أن عطور اليمن اجود الأنواع وأن أهل عدن من أشهر صناعه، وكذلك انتشرت صناعة الزجاج والخزف في اليمن ومما يدل على انتشار هذه الصناعة هو وجود بئر يسمى بئر سوق الخزف وكانت المواد الأولية لهذه الصناعة موجودة في جبال عدن والمناطق القريبة منها، كما وجدت في اليمن صناعة الذهب والفضة والعقيق واللؤلؤ والجزع وهو ما يعرف بالصناعة الاستخراجية كما يوجد العنبر في اليمن وكثرة في السواحل من عدن الى محاء، ويذكر أنه في سنة (١٦٤هـ - ٧٨١م) قام الخليفة المهدي بعزل والي اليمن عبد الله بن سليمان عن ولايته وأمر بحبسه بعد أن وجد معه الجواهر والعنبر مما يدل على أهمية هذه المواد، وكذلك وجدت في اليمن صناعة الحديد والرصاص وصناعة أدوات الحرب مثل السيوف وكانت لها شهرة واسعة بين صفوف المقاتلة (السيوف اليمانية) والدروع والنصال، وصناعة الجلود وصناعة العقاقير الطبية وصناعات أخرى كثيرة (٣٣).

المبحث الثالث

التجارة في اليمن في العصر العباسي

أشتهرت اليمن في التجارة خلال عصر ما قبل الاسلام ممراً بحرياً مهماً للمراكب التجارية المحملة بالبخور والتوابل حتى أصبحت اليمن البلد الذي يستطيع نقل تجارة الشرق الى الغرب وبالعكس وذلك بحكم موقعها الجغرافي المهم، كما تعرفت اليمن وبواسطة هذه التجارة على حضارة اليونان والرومان والبابليين والفينيقيين وقد كانت عدن سوقاً وميناء لكبار تجار اليونان والرومان فقد كانوا يقصدونها في رحلات منتظمة من مصر، وكذلك كانت عدن مركزاً لتبادل السلع الأفريقية والهندية ومكاناً تبحر منه السفن الى الهند، وقد ظل ميناء عدن محتفظاً بمكانته في التجارة العالمية بل تحول بعد الاسلام الى مستودع ضخم للبضائع من مصر وشرق أفريقيه والهند بعد أن جعلها التجار الممر الرئيسي لهم (٣٤).

وفي العصر العباسي نجد اهتمام ملحوظ من قبل أمراء وسلطين اليمن بميناء عدن، فقد قام الأمير محمد بن زياد مؤسس الإمارة الزيدية بتوفير الأمن حول ميناء عدن وكان هذا سبباً في أن تتجه السفن التجارية اليها، فضلاً على أن قيام الخلافة الفاطمية في مصر ساعد على انتعاش ميناء عدن الذي أصبح حلقة الوصل بين الشرق والغرب في معظم الامور التجارية والاقتصادية خاصة اذا ما عرفنا أن اليمن أصبحت تدخل ضمن ولاء الفاطميين وقيام الدول الموالية لهم كالدولة الصليحية (٣٥).

وكذلك أسهم ميناء غلافه بدور فعال في النشاط التجاري لليمن لما توفر له من مقومات جعلته يحتل تلك الأهمية، ومنها قربها من مدينة زبيد عاصمة الدولة الزيدية، فقد كان يربطه بها طريق بري هام تسير فيه القوافل التجارية محملة بالبضائع ومتجه نحو مدينة زبيد، فضلاً عن موقعه في سهل زراعي خصب تميز بكثرة انتاجه الزراعي، كما كانت مياهه صالحة للاستعمال مما أتاح للقوافل والحجيج التزود بما يحتاجونه منه (٣٦).

وكانت سواحله تحتوي على ثروة سمكية كبيرة فكان أهله يقومون بأصطياد الأسماك، كما أصبح ميناء غلافقه ملتقى السفن والقوافل التجارية فكانت تصل اليه مراكب الحجاز ومصر والحبشة وهي محملة بالسلع المختلفة وعليها الكثير من التجار القادمين من تلك البلدان، وكان التجار وقوافلهم يعبرونه أثناء مسيرهم نحو مدينة زبيد، فكان أشبه بمحطة تجارية للصادر والوارد من التجار من مختلف البقاع، كما أر تبط بطريق هام مع ميناء عيذاب الشهير حيث كانت السفن التجارية اليمنية تنطلق تنطلق نحوها، ولم يبلغ ميناء غلافقه ما وصل اليه ميناء عدن من نشاط تجاري بل جاء بعده في ذلك النشاط بين موانئ اليمن المختلفة^(٣٧).

وايضاً كان لميناء عثر دور هام في النشاط التجاري فمدينة عثر تتوسط منطقته زراعيه غنية بما تنتجه من محاصيل زراعيه كما أضاف موقعه المتوسط أهمية أخرى فقد أصبح سوقاً للمنطقة التي حوله، فضلاً على أن ميناء عثر كان المنفذ البحري لمدينتين هامتين هما صعدة وصنعاء^(٣٨).

ومن الموانئ المهمة الأخرى في اليمن ميناء الأهواب والذي يقع الى الجنوب من ميناء غلافقة حيث توفرت له المقومات لميناء غلافقة من موقع على ساحل البحر وقرب من مدينة زبيد وأطلاله على سهل تهامة الغني زراعياً، وقد كان بهذا الميناء شهرة ونشاط تجاري باستقباله السفن القادمة من شرق أفريقيا حيث كان يقابل ميناء عوان الواقعة على الساحل الأفريقي والذي كانت تأتي منه السفن محملة بالبضائع الى الميناء الأهواب^(٣٩).

كما وجدت في العصر العباسي بين الحجاز والحبشة وأسيا الصغرى وبين أسيا الشرقية علاقات تجارية، فبينما كان زمرد ساحل الهند الشرقي ينقل الى الغرب عن طريق عدن ومكة كان أمراء الشرق الأقصى ينقلون ناب الفيل الكثير من الحبشة ، وكان ميناء عدن سوقاً نافقة لتلك السلع ومرسى للسفن القادمة من كل انحاء أسيا وساحل أفريقية الشرقية، ولما كثرت الأموال في ايدي العباسيين حملوا السلع من جميع أنحاء العالم الى العراق فحملوا الحديد من خراسان والرصاص من كرمان والعود والمسك والسروج من الصين والعطر وأنواع الطيب من اليمن والسلاح والمصوغات من بلاد فارس واللؤلؤ من عيذاب على البحر الاحمر والخيزران والكافور والقرنفل والثياب القطنية والفيلة من الهند والسند والياقوت والماس من سرنديب والجلود من بلاد الروم والفاكهة والحديد والسلاح من بلاد الشام وجلود الثعالب من روسيا^(٤٠).

وكان للتجار مركز في الدولة اليمنية لأن التجارة كانت أهم موارد الدولة وكانت بلاد الهند تمد اليمن بالسلع والسفن، فضلاً عن اعتماد اليمن على أرباب الصناعات في مصر والشام فقد كانوا يجزلون لهم الرواتب ويحسنون معاملتهم ويقربون اليهم مهرة الصناع ويمنحونهم ما يعوضهم عن ترك اوطانهم بما يوفرونه لهم من أسباب الرفاهية ورغد العيش، فكان اليمنيون يهتمون براحة الغرباء القادمين على بلادهم ويكرمون وفادتهم^(٤١).

كما كان لموقع عدن على البحر المتوسط أثراً كبيراً في قيام علاقات وصلات تجارية مع الكثير من الدول حيث أرتبطت اليمن بعلاقات مع كل من الصين وشرق أفريقيا والحبشة ومصر، ومما زاد من توثيق الصلات التجارية بين اليمن ومصر هو قيام الدولة الصليحية في اليمن وأرتباطها بدعوة الفاطميين حيث أخذ التجار المصريين يدخلون الى اليمن حتى أستقر عدد منهم في مدن اليمن، كما أستمرت العلاقات بين اليمن ومصر في العهد الأيوبي ايضاً بعد أن أصبحت اليمن جزءاً من الدولة الايوبية^(٤٢).

وكذلك قامت علاقات تجاريه متميزة بين اليمن والهند حيث وصل الى اليمن الكثير من المنتجات الهندية كالنفل والكافور والقرنفل والتمر الهندي والثياب الخام الهندي وغيرها^(٤٣).

الخاتمة

يمكننا في ضوء ما تقدم من مباحث تضمنها هذا البحث أن نستخلص ما يأتي :

- ١- عرفت اليمن السعيدة ومنذ حقبة تاريخية قديمة بأهمية استراتيجية واقتصادية مميزة.
- ٢- كان اليمن بلد زراعي من الطراز الأول ازدهرت فيه الزراعة وعرف باستخدام نظام المدرجات في زراعة المناطق الجبلية والوعرة.
- ٣- اشتهر اليمن ومنذ القدم بتطوره في مجال الري وبناء السدود وخير دليل على ذلك سد مأرب.
- ٤- أنفردت اليمن بزراعة بعض الأشجار والنباتات والتي تميزت بمردودها الاقتصادي المرتفع ونال شهرة واسعة بمنتجاتها وخاصة (اللبان).
- ٥- تميزت اليمن بين طرائق ربيها وغزاره زروعها حيث كان يوجد في اليمن العديد من الأودية ومنها (وادي البجاية) و(وادي عدو) و(وادي برامس) وغيرها.
- ٦- أهتم أهل اليمن كحالة مرتبطة مع الزراعة بالثروة الحيوانية حيث اشتهرت مدينة (جبلان) بكثرة البقر واشتهرت بلدة (الصعر) بالابل.
- ٧- كان لأضطراب الأوضاع السياسية في اليمن في العصر العباسي أثره الكبير على النواحي الاقتصادية.
- ٨- ازدهرت الصناعة في اليمن وانتشرت في مدنها المشهورة.
- ٩- لقيت الصناعة في اليمن اهتماماً كبيراً من قبل حكام اليمن وخاصة الصناعات القائمة على الإنتاج الزراعي.
- ١٠- وكدليل على اهتمام اليمن بالصناعة هو تأليفهم لبعض المؤلفات التي تناول الصناعة ومنهم السلطان الملك المظفر الاول الذي ألف كتاب (المخترع في فنون من الصنع).
- ١١- عمل اليمنيون على استقدام صناع من مصر والشام لقلّة وجودهم في اليمن، كما عملوا على إرسال متخصصين في معرفة الصناعات الى عدد من الدول ومن بينها العراق والشام.
- ١٢- يمكن تقسيم صناعات اليمن الى قسمين وهما صناعات قائمة على الانتاج الزراعي مثل صناعة المنسوجات وصناعة القطن وصناعة الزيوت وصناعة السكر والنبيد وغيرها، وايضاً هناك صناعات قائمة على الانتاج الحيواني مثل صناعة الالبان ومشتقاتها وصناعة الحرير كما أهتم بتربية النحل.
- ١٣- اشتهرت اليمن بصناعة العطور والطيب وقيل ان عطور اليمن من أجود الانواع وكذلك اشتهرت صناعة الزجاج والخزف في اليمن ومما يدل على ذلك وجود بئر سي (بئر سوق الخزف).
- ١٤- كان لليمن نشاط تجاري متميز مع مختلف أرجاء العالم من خلال موقعها الجغرافي المهم على طرق الملاحة والمواصلات الدولية المعروفة ومنذ القدم والذي عزز من دور اليمن واهميتها في مجال النشاط التجاري.
- ١٥- كان لأمرأ وسلاطين اليمن اهتمام ملحوظ بميناء عدن لانه يشكل حلقة الوصل بين الشرق والغرب في معظم الأمور التجارية والاقتصادية خاصة بعد قيام الدولة الفاطمية في مصر وأن اليمن أصبحت تدخل ضمن ولاء الفاطميين.

- ١٦- وفضلاً عن ميناء عدن كان هناك العديد من الموانئ في اليمن والتي ساهمت وبدور فعال في النشاط التجاري لليمن ومن هذه الموانئ ميناء (غلاقه) وميناء (عثر) وميناء (الاهواب) وغيرها.
- ١٧- كان لليمن علاقات تجارية متميزة مع عدد من الدول ومن بينها الصين وشرق أفريقية والحبشة ومصر والهند وغيرها من الدول.

الهوامش

- ١- المسعودي: أي الحسن علي (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد المجيد، ط ٤، بيروت، ج ٢، ص ٦٩.
- ٢- الحموي، شهاب الدين (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط ١، بيروت، ١٩٩٦، ج ٥، ص ١٧٢.
- ٣- خالص: الأشعب، اليمن دراسة في البناء الطبيعي والاقتصادي والاجتماعي، بيروت، د، ت، ص ١٠.
- ٤- الحموي: المصدر السابق، ص ٢٠.
- ٥- البواب، خليل، موسوعة بلدان العالم، ط ١، بيروت، ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥، ص ١٦٥.
- ٦- الاشعب، المصدر السابق، ص ٢١.
- ٧- النصيبي،، أبي القاسم آبن حوقل (ت ٣١٧هـ)، صورة الارض، ط ٢، بيروت، ١٩٩٨، ج ١، ص ٢٦.
- ٨- الرازي : أحمد بن عبد الله الرازي الصنعاني (ت ٤٦٥هـ- ١٠٦٧م)، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين عبد الله، ط ١، دمشق، ١٩٧٤، ص ١٠٦.
- ٩- ابن الديبع : عبد الرحمن ابن علي (ت ٩٤٤هـ- ١٥٣٧م)، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ص ١٣٠.
- ١٠- الرازي: المصدر السابق، ص ١٠٨.
- ١١- الحمزي: عماد الدين آدریس بن علي بن عبد الله (ت ٧١٤هـ- ١٣١٤م)، كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار، تحقيق عبد المحسن المدعج، ١٩٩٢، ص ٤٠.
- ١٢- محمود: حسن سليمان، تاريخ اليمن السياسي، ط ١، ١٩٦٩، ص ٢١٠.
- ١٣- الخزرجي : علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ- ١٤٠٩م)، العقود اللؤلئية في تاريخ الدولة الرسولية، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩١١، ج ١، ص ٢١.
- ١٤- الخزرجي : المصدر نفسه، ص ٢٧.
- ١٥- الأكوع، محمد بن علي الحوالي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط ١، القاهرة، ١٩٧١، ص ٤٢.
- ١٦- الأكوع : المصدر نفسه، ص ٤٨ - ٤٩.
- ١٧- الخزرجي : المصدر السابق، ص ٣٠.
- ١٨- (الفوه): وهي عروق نباتات لونها أحمر كان يستعملها الصباغين وطعمها مر وكانت تصدر الى خارج اليمن.
- ١٩- الخزرجي: المصدر نفسه، ص ٣٢.
- ٢٠- الأكوع: المصدر السابق، ص ٥٦.
- ٢١- الهمداني : الحسن بن احمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الرياض، ١٩٧٤، ص ٧٦.
- ٢٢- اليعقوبي: أحمد بن يعقوب (ت ٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٠.

- ٢٣- ابن الديبع: المصدر السابق، ص ١٣٠.
- ٢٤- الهمداني: المصدر السابق، ص ٣٥٩.
- ٢٥- الرئيس: ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة العربية الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٥٤.
- ٢٦- الدوري، عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط٥، بيروت، ١٩٨٧، ص ٧٤.
- ٢٧- الخزرجي: المصدر السابق، ص ٥٧.
- ٢٨- الدوري، المصدر السابق، ص ٨٤.
- ٢٩- الأكوغ: المصدر السابق، ص ٥٦.
- ٣٠- ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.
- ٣١- ابن فضل الله العمري : المصدر، نفسه، ص ٦٥.
- ٣٢- ابن المجاور : جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م)، تاريخ اليمن ومكة والحجاز المعروف بتاريخ المستبصر، ص ٢٣٣.
- ٣٣- الواسعي : عبد الواسع بن يحيى اليماني، تاريخ اليمن،، القاهرة، ١٣٦٤هـ، ص ٨٧.
- ٣٤- علي : جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٦٩، ج ٢، ص ٧٧.
- ٣٥- أبو مخرمة : أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد (ت ٩٤٧هـ - ١٥٤٠م)، تاريخ ثغر عدن، ١٩٣٦، ص ٩٤.
- ٣٦- المقدسي : أبو عبد الله بن احمد بن أبي بكر (ت ٣٧٥هـ)، آحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ٨٦.
- ٣٧- ابن المجاور : المصدر السابق، ص ٢٤٣.
- ٣٨- المقدسي : المصدر السابق، ص ٧٨.
- ٣٩- ابن المجاور : المصدر السابق، ص ٢٤٧.
- ٤٠- حسن : حسن أبراهيم، اليمن البلاد السعيدة، دار المعارف، مصر، د، ت، ص ٥٧.
- ٤١- أبو مخرمة : المصدر السابق عدن، ص ٢٩.
- ٤٢- ابن المجاور : المصدر السابق، ص ١٤٤.
- ٤٣- ابو مخرمة: المصدر السابق، ص ٩٤.

